

من الآثار القبيحة للمعاصي (٢١)

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد،،،

العقد بين يديك:

فيا من باع حظه الغالي بأبخس الثمن، وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يرى أنه قد غبن، إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فسأل المقومين، فيا عجباً من بضاعة معك الله مشتريها، وثنها جنة المأوى، والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقد بعثها بغير الهوان:

إذا كان هذا فعل عبد بنفسه فمن ذا له من بعد ذلك يكرم؟

قال سبحانه وتعالى: " وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ " [سورة الحج: ١٨]

المعصية تدسي النفس والطاعة تعليها:

ومن عقوبات المعصية والذنوب أنها تصغر النفس وتقمعها، وتدسيها وتحقرها، حتى تصير أصغر من كل شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها، قال تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا " [سورة الشمس: ٩ - ١٠]، والمعنى قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله.

وأصل التدسية: الإخفاء ومنه قوله تعالى: " أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ " [سورة النحل: ٥٩].

فالعاصي يدس نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى عن الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق، فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها، حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله، يعنى أنها ذليلة بين يديه، تعظم ربها وتحقر نفسها، وبهذا الذل حصل لها العز والشرف والنمو، فما صغر رتب النفس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله سبحانه.

(يتبع بالعدد القادم.. بالمعصية لا جاه ولا كرامة)

من كتاب الجواب الكافي